ذاكرة العرب

مجلة ربع سنوية - العدد الثاني - إبريل ٢٠١٩

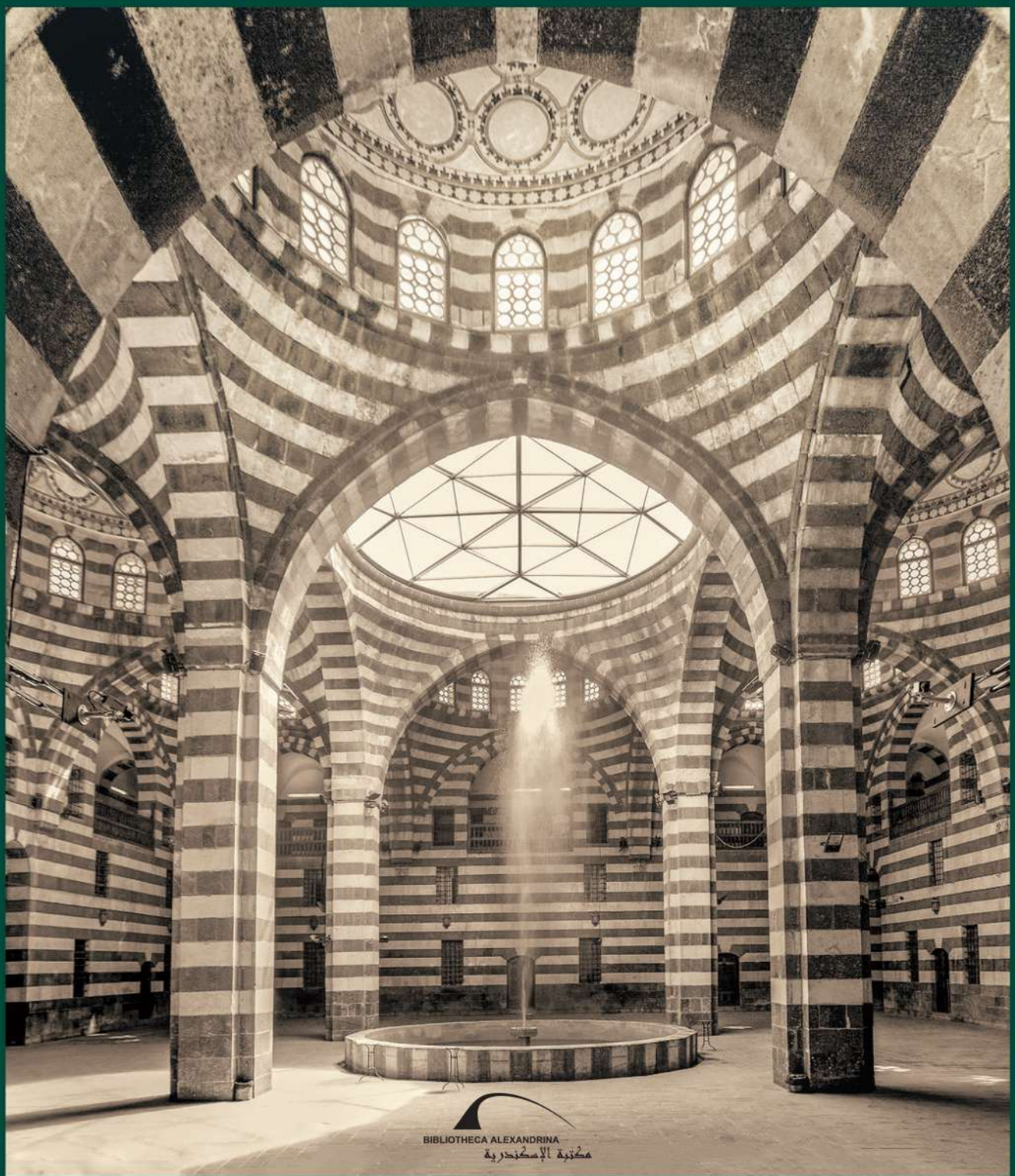

الفهرس

تقديم	٣
سجلماسة... ١٣٠٠ عام على تأسيس أول حاضرة إسلامية بالمغرب الأقصى	٤
مدينة زبيد اليمنية وتحصيناتها	١٦
البيوت الدمشقية... كنوز معمارية فنية وأسرار تاريخية	٣٠
خان أسعد باشا العظم في مدينة دمشق	٥٠
زينة الرأس للمرأة التونسية... تراث ثقافي وحضاري	٦٤
سلامات من يافا وحيفا والناصرة والقدس الشريف	٨٨
السنع وأصوله... الأقوال الشعبية المتداولة في المناسبات الاجتماعية في دول الخليج العربي	٩٨
تاريخ غزة في نهاية العصر العثماني... قراءة من خلال شواهد القبور	١١٤
ملحمة السيرة الهلالية	١٢٨
إطلالة على البن اليمني	١٣٠
قراءة لوثيقة نادرة تقنن بيع الخيل في عهد الملك عبد العزيز	١٣٤
هرابات المياه النبطية في سيناء	١٤٢
ملف خاص: ما قبل التاريخ في الوطن العربي	
- آثار ما قبل التاريخ في العالم العربي والإرهاصات الأولى للحضارة	١٥٠
- الفن الصخري الموريتاني	١٦٢
- الملامح الثقافية لما قبل التاريخ في اليمن	١٧٤
- تاسيلي... تراث عربي مجهول	١٧٨

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

المشرف العام
مُصْطَفى الفِقي
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خَالِد عَزَب
khaled.azab@bibalex.org

سكرتير التحرير
سُوزَان عَابِد
susan.abed@bibalex.org

المراجعة والتصحيح اللغوي
فاطِمَة نَبيه
مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط
الحَسَن عِصَام
خَالِد مُصْطَفى

الإسكندرية، إبريل ٢٠١٩

طُبعت برعاية
OFID
THE OPEC FUND FOR INTERNATIONAL DEVELOPMENT
Uniting against Poverty

الملامح الثقافية لما قبل التاريخ في اليمن

بقلم: الدكتور حسين أبو بكر العيدروس

إن الجدل حول ما اصطلح عليه بـ«مهد البشرية» طويل جدًّا، ولسنا بصدد مناقشته هنا أو إعادة صياغته. كان جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن) لدى الباحثين في تاريخ الحضارات مهدًا أصليًّا للبشرية وفقًا لنظريات بعض علماء الآثار، الذين يرون انتقاله من إفريقيا الشرقية عبر مضيق باب المندب إلى وسط شبه الجزيرة العربية قبل نحو مليوني سنة تقريبًا، أي منذ زمن البليستوسين؛ وعُرف هذا النوع بمنتصب القامة *Homo erectus*، ولكن بعض علماء الآثار ينسبون فصيلة الإنسان الحالي إلى الإنسان العاقل *Homo sapiens*. ونجد أن بعض العلماء يُعدّ بداية ظهور الأنسنة في نحو ٢,٦ مليون سنة من الوقت الحاضر، في حين يرى آخرون أنها بدأت قبل نحو ١,٨ مليون سنة من الآن. وعلى هذا الأساس، فإن ما تم العثور على بقايا أدواته فيما قبل الإنسان العاقل لا يُعد من البشر؛ لأنه ليس صانعًا ولا منتجًا للحضارة، ولكن يُسمى اصطلاحًا بـ«أشباه البشر».

ساد المناخ الجاف شبه الجزيرة العربية خلال البليستوسين، قبل نحو ٤٠,٠٠٠ سنة، وتخلل تلك الحقبة بعض فترات من الرطوبة بين ٣٣,٠٠٠ و٢١,٠٠٠ سنة ثم بين ٨,٠٠٠ و٥,٠٠٠ سنة ق.م؛ أي حتى نهاية العصر الحجري الحديث. وخلفت هذه المرحلة شديدة الرطوبة أدلة واضحة على أرض جنوب شبه الجزيرة العربية كافة؛ حيث تظهر طبقة طمية سميكة ذات لون بني غامق مائل إلى الرمادي في أنحاء واسعة، تمثل رواسب غرينية تحتوي على مواد عضوية غنية، يمكن مشاهدتها بوضوح في الجروف الطبيعية التي سببتها السيول في الأودية الكبيرة، مثل وادي حضرموت والجوف، اللذين كانا يمثلان أكبر نهرين خلال تلك الفترة المطيرة، كما ثبت ذلك من بيانات الصور الجوية والفضائية. وتظهر كذلك مثل تلك الطبقة الغرينية في منطقة يلا بخولان الطيال شرق صنعاء؛ ثم ساد الجفاف مرة أخرى، وقلَّ هطول الأمطار مع مطلع العصر البرونزي؛ مما أدى إلى انحسار البحيرات التي كانت منتشرة في كل من الطرف الغربي لرملة السبعتين قُرب منطقة العَبر، والأخرى في منطقة صعدة في شمال غرب اليمن؛ ومع هذا الجفاف تركت معظم الحيوانات مراعيها اليابسة؛ بحثًا عن مناطق أفضل، فهاجرت إلى غير رجعة.

مواقع عصور ما قبل التاريخ في اليمن

كشفت البعثات الأثرية العاملة في اليمن عن مواقع تُنسب إلى عصور ما قبل التاريخ، و(كهف القِزِة) الذي يرجع تأريخه إلى نحو ١,٣٠٠,٠٠٠ سنة تقريبًا من الوقت الحاضر. وهي بهذا تعود إلى الثقافة المعروفة بـ(الأولدوا/ أولدفا)، على حسب آخر الأدلة الأثرية التي نشرتها البعثة الروسية التي كشفت عنه منذ عام ١٩٨٤م؛ وقد عُثر على أدوات حجرية تعود إلى فترة ما قبل الأشولية المبكرة. ويقع هذا الكهف على وادٍ صغير مقابل لمنطقة الهجرين على مداخل وادي دوعن في حضرموت، ويوجد بالقرب منه كهوف أخرى (شرحبيل والأمير). بالإضافة إلى المواقع الاستيطانية في تهامة بوادي سُردد والشومة، وكذلك مواقع شمال اليمن، مثل صعدة والجوف، ثم مواقع تعود إلى مراحل تالية، مثل مواقع خميس بني سعد في المحويت الذي يعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط (نحو ٥٥,٠٠٠ سنة ق.م)، ومواقع كثيرة جدًّا من جول حضرموت الشمالي في أودية تقع أعلى الهضبة، مثل وادي وعشة وغبيري والخون، ومواقع أخرى من حضرموت، وكذلك هضبة المهرة في شرق اليمن، ومواقع من الربع الخالي الواقع إلى الشمال. وكل هذه المواقع تم العثور على سطوحها في أثناء المسوحات الأثرية على الأدوات الحجرية متعددة الأغراض؛ منها الفئوس اليدوية، والنصال ذات الوجه وذات الوجهين، والخطاطيف، والسنانير، والأدوات العظمية. وقد استمر إنتاج هذه الأدوات في هذه المواقع التي تعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى، الذي بدأ نحو ٣٥,٠٠٠ إلى نحو ١٨,٠٠٠ سنة من الوقت الحاضر.

مواقع الفنون والرسوم الصخرية

رغم قساوة الطبيعة وضراوتها، فإن الإنسان القديم لم يشغله البحث عن الطعام بوسيلته البدائية المتمثلة في أدوات الصيد، عن التعبير وإيجاد وسيلة لتوثيق بعض المشاهد من حياته العامة؛ وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بالصيد وطقوسه التي تطورت هي الأخرى لتواكب مسيرة حياته. فظهرت في الكهوف رسوم تجسد الحيوانات التي كان يصطادها أو يأمل الحصول عليها. ولهذا برزت الفنون الصخرية في مواقع متعددة في اليمن، من أبرزها مواقع صعدة التي نُسبت أقدم الأعمال الفنية فيها إلى الألف السابع قبل الميلاد. وتظهر من خلالها رسوم الجواميس الضخمة هلالية القرون والحمير الوحشية، تلتها السنوريات (أشباه القطط) والكلاب، ثم الوعول في زمن لاحق. ومن أبرز مواقع الرسوم الصخرية في حضرموت موقع (وادي بن علي ١) الذي يُنسب

النصال الحجرية الصوانية (من حجر الصوان) من هضبة حضرموت.

إلى الألف الثامن قبل الميلاد؛ وهو جرف صخري عليه رسوم لطبعات أيدٍ بشرية ملونة باللون الأحمر القرمزي، ورسوم أخرى لحيوانات أشكال تشبه الخفافيش البيضاء (أشكال مثلثة بيضاء اللون)، ومواقع أخرى من منطقة الضالع، وأبرزها جرف الإبل وجرف النابرة، وفيهما رسوم ملونة يعود أقدمها إلى العصر الحجري الحديث، ثم العصر البرونزي؛ وتمثل مشاهد متعددة لصيد الأبقار والوعول. ومن منطقة تهامة يبرز لنا موقع جرف المستور، الذي يجسد هو الآخر في رسومه الملونة طقوس الصيد الشعائري ورقصاته الجماعية خلال العصر البرونزي، والتي ما زال بعضها قائمًا حتى وقتنا الحاضر، كما هو معروف في موسم الصيد السنوي بحضرموت المسمى موسم القنيص، الخاص بقنص الوعول. ولم تقتصر الفنون على المواقع المُشار إليها سلفًا، ولكن ينتشر الكثير من مواقع الرسوم الصخرية في ربوع اليمن في أوديته وصحاريه وجباله، لتعبر في مختلف المراحل الزمنية من عصر ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية، بفنٍّ مُتقدم ومُعبِّر، له جذوره الفكرية والأسطورية والعقائدية العميقة.

هكذا سَار الإنسان في اليمن مواكبًا لبعض التطورات الفكرية في العالم القديم. وتمخض عن هذا التطور الفكري والذهني لدى الفنان ما يجعل من فنه هذا خيالاً يُجسد فيه الصِّفات التي يراها ببصيرته فيمن يتحكم في حياته، مثل المعبودات أو الآلهة أو الشخصيات القيادية المُهمة؛ وما يتمنى امتلاكه ومباركته دون عناءٍ أو مخاطر، مثل حيوانات الصيد التي يرسمها وهي في قبضته. وفي مرحلة لاحقة، وبعد النضوج النسبي للعقائد أو لما يُسمى الفكر الديني لديه، رسم بمستويات مختلفة رموز المعبودات التي كان يتعبد لها، والمتمثلة بشكل أساسي في الثالوث (الشمس، والقمر، والنجوم). ورغم اختلاف مواضع عبادة هذه الكواكب، فإنها توزعت على مختلف مناطق اليمن القديم وبأسماء أخرى فرعية لها، مثل ذات حميم، وذات بعدان، وذات أليم، وذات موتر، وللقمر (سين) وللزهرة (عثتر) وعدد كبير من الأسماء الفرعية. والملاحظ أن التشابه الواضح بين تسميات المعبودات مع مناطق الشرق القديم كبير جدًّا، وهو أمر – لا محالة – يعود إلى التواصل الذي كان بين المناطق، خاصة أن جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن) كان مصدرًا مُهمًّا لأنواع من العطريات، مثل اللبان، والبخور، والمر، كان لها رواج وسوق عالمية، كانت في زمانها تضاهي تجارة النفط العالمية.

وعودة إلى صناعة الأدوات واستخدامها؛ ففي مرحلة العصر الحجري الحديث بدأت تظهر الأدوات الصغيرة (القزمية) خلال الفترات التالية، مثل الشفرات ورءوس السهام والمكاشط الرقيقة، ومعظمها مصنوع من الصوان ومن أحجار أخرى. والأدوات القزمية الصغيرة صُنع بعضها من الأوبسيديان (الزجاج البركاني) والصوان أيضًا، وهذه المرحلة تسمى مرحلة ما قبل الفخار. ومنذ العصر البرونزي نحو ٤,٥٠٠ سنة ق.م ظهرت صناعة الفخار؛ إذ لم يتم العثور على الأدوات البرونزية في مواقع العصر البرونزي في تلك الفترة (كما هو في تسمية ذلك العصر)، ولكن عُثِر على أدوات حجرية استمرت من العصر السابق، بالإضافة إلى وجود الكثير من الكِسَر الفخارية ذات العجينة الخشنة.

أما الحيوانات، فقد عاشت أنواع متعددة من الحيوانات الضخمة خلال العصور الحجرية القديمة، كانت تناسب الأجواء السائدة حينها في جنوب شبه الجزيرة العربية. فقد وجدت بقايا الجواميس البرية الضخمة المعروفة بـ(الجواميس الإفريقية) بالإضافة إلى الأحصنة. وعاش الإنسان في العصور الحجرية القديمة والوسيطة صيادًا متنقلًا جامعًا للطعام، لا يستقر إلا في الجروف الطبيعية والكهوف، وبشكل جماعي. فالمناخ الرطب المطير يوفر له حاجته الكافية من الطعام، ولهذا لم يكن محتاجًا إلى المكوث طويلًا في المساحات المفتوحة، إلا حينما بدأ الجفاف يتزايد، وتقل فرص تساقط الأمطار كما كانت عليه في الفترات الرطبة؛ فقد أدى ذلك إلى الاقتراب من مصادر

مقابر العصر البرونزي في الرويك بمأرب.

نموذج لأحد شواهد القبور المنحوتة من العصر البرونزي.

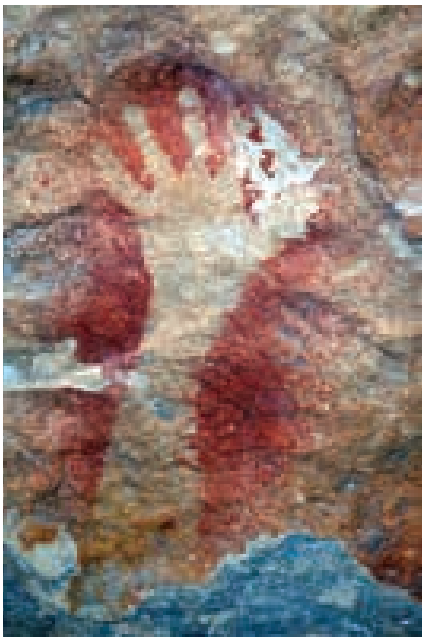

نموذج لرسوم طبعات كف اليد الملونة من وادي بن علي.

المياه التي تتوافر عند مصبات الجبال نحو الأودية الواسعة. وهنا أقام الإنسان مبانيه الدائرية المتواضعة ذات الأساسات الحجرية؛ متفرقة حينًا ومجتمعة أحيانًا أخرى. ومع ازدياد الحاجة الماسة إلى الطعام وهروب الكثير من الحيوانات التي كان يعتمد عليها في الغذاء بسبب جُدُوبة الأرض وجفاف البُحيرات وقِلة هُطول الأمطار؛ بدأ منذ الألف الثامن قبل الميلاد يعرف عمليةَ الإنبات والتحكم في زراعة بعض المحاصيل؛ اعتمادًا على المياه الضحلة والمتبقية التي كان قد بدأ أيضًا يتحكم فيها للمحافظة عليها كلما ازداد الجفاف وشحت المياه؛ وذلك بعمل حواجز صغيرة من الحجارة، واستخدام الطين المعجون كمونة بين الحجارة. كذلك استعان بحُفر يحتفظ فيها بما تيسر من بقايا السيول والعيون التي نضبت هي الأخرى؛ فكانت هذه الخطوة متخلفة في جنوب شبه الجزيرة العربية عن بقية مناطق العالم القديم بنحو ألف عام بناءً على الأدلة العلمية المتوافرة.

أعقب العصر الحجري الحديث العصر الحجري النحاسي، وهو المرحلة الفاصلة بينه وبين العصر البرونزي، إلا أنه لم يستمر طويلًا. أما العصر البرونزي، فقد شهد أكبر وأوسع هجرات داخلية وربما خارجية أيضًا؛ فخلاله نلاحظ توسع المستوطنات السكنية، بالإضافة إلى وجود نماذج كثيرة للحقول الزراعية البسيطة، تم عملها على حواف المصبات الجبلية (الشِحر/ الشِحَاح). وتظهر أساسات مباني تلك الفترة من الحجارة المتوسطة والكبيرة غير المشذبة بشكل دائري، صغيرة ومتوسطة القطر، متجاورة حينًا ومتلاصقة حينًا آخر، يتكون بعضها من غرفتين أو أكثر. وظهر خلالها النموذج المعروف بالعنقودي (مجموعة غرف متجاورة تشبه عنقود العنب)، مع وجود مساحات عامة بين الغرف أو مساحات مشتركة يستخدمها الجميع. كذلك تظهر بها الأبواب والأعمدة الحاملة للسقف في الغرف الواسعة بيضاوية الشكل، مع انتشار واسع للمقابر بتنوع أشكالها، مثل القبور الركامية والبرجية وذات الذيول والصندوقية، ووجود نماذج يُعتقد أنها بدايات المعابد أو أن لها صلة بالعقيدة. ومواقع تلك الفترة تنتشر بشكل كبير في الجُولين الجنوبي والشمالي لوادي حضرموت، ومناطق من محافظتي شبوة ومأرب، ومناطق من الهضبة الوسطى في خولان والحَدَا وبناعم (الأعروش) والطيال وبدبدة، ومعظم المساحات الواقعة شمال غرب صنعاء، مثل حُضور هَمْدَان وبني مَطر وعَمْران وبيت مجلي وريدة.

تم العثور على أدوات حجرية بالإضافة إلى الكثير من الكسر الفخارية لأواني الطبخ، مثل القدور والأزيار الكبيرة وأواني حفظ الزيوت والسوائل وأكواب الشرب وغيرها؛ وبعض بقايا أدوات الزينة، مثل الخرز والقواقع البحرية والأصداف والأحجار الكريمة والأساور الزجاجية. كذلك عُثر في بعض المواقع مثل موقع (راوك) في وادي عِدِم بحضرموت، ومواقع من مأرب، على تماثيل آدمية صغيرة مصنوعة من الحجر الكلسي لا تتجسد فيها الملامح بشكل واضح، وتُظهر بدانة الجسم بشكل مبالغ فيه، ويبدو أن بعضها تماثيل أنثوية، ربما لها صلة بالخصب، كما هو معروف في الشرق القديم. وظهر خلال هذا العصر أيضًا الاهتمام بصناعة شواهد القبور المنحوت على واجهتها شكل آدمي تجريدي، يظهر وهو يتمنطق الحزام ذا الخنجر (عسيب وجنبية). وهذه الشواهد المنحوتة نحتًا بارزًا ظهرت خلال الألف الثالث – الثاني قبل الميلاد، ومواقع هذه النماذج توجد في جول حضرموت الجنوبي (وادي المحمدين).

وقف

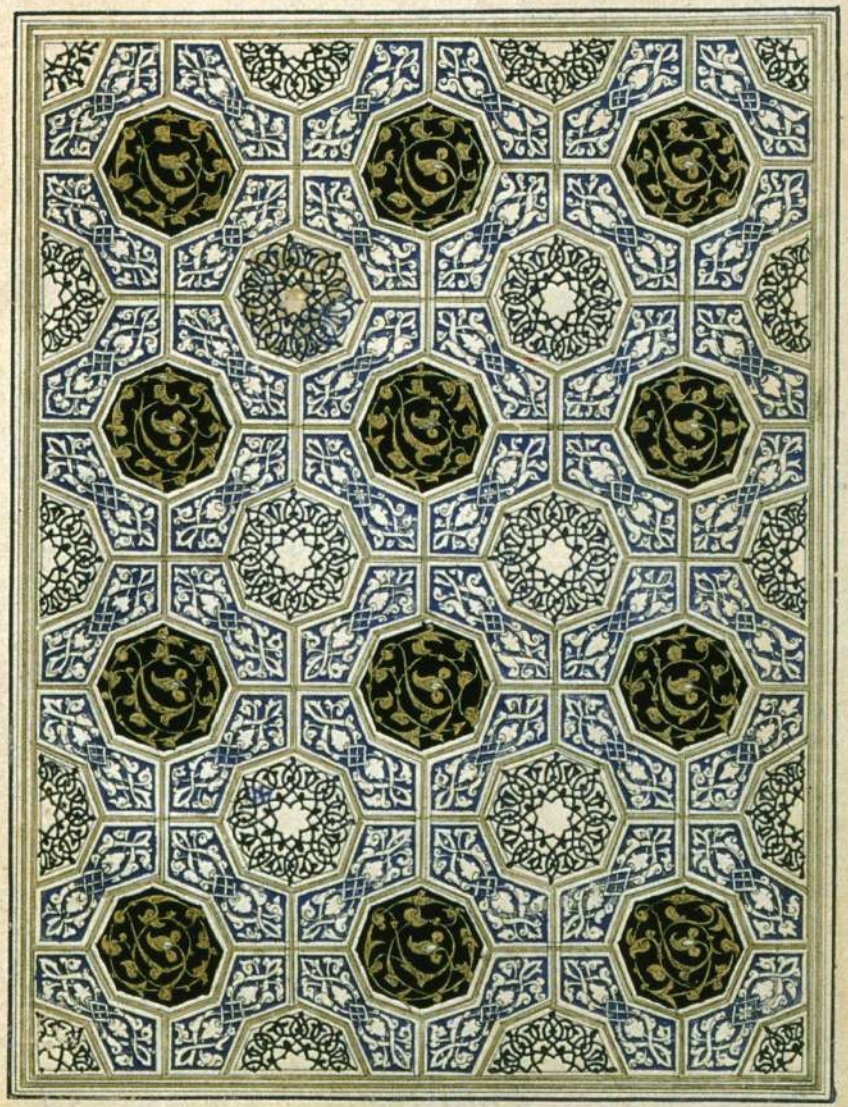

بسم الله الرحمن الرحيم وقف وحبس وسبل وانا العبد الفقير الى الله تعالى
حصن المسلمين ملجأ القاصدين ابو سعد سيف الدين ركن بن عبد الله الشافعي الملكي الناصري نفعه الله تعالى العظيم
جميع هذه الربعة الشريفة وعدتها ثلثون جزءا على كافة المسلمين ينتفعون بذلك في القراءة والنقل
والمطالعة والدراسة وشرط الواقف للذكور ان هذه الربعة المذكورة لا تخرج من الذرية المذكورة ولا تعار ولا تخرج الا
للاصلاح وجعل النظر في ذلك لنفسه طول حياته ثم من بعده لذريته الارشد فالارشد وذريه ذريته فاذا انقرض
الذريه ولم يبق منهم احد يكون النظر للشيخ المقيم بالتربة المذكورة يجري الحال في ذلك كذلك ابدا ان ارث الله الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين فمن بدل حرام حرام على من غيره او بدله من بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه
ان الله سميع عليم وقع اجر هذا الواقف على الله عز وجل الذي لا يضيع اجر من احسن عملا وذلك سابع اسابيع
من شهر جمادى الاخر سنة ست وعشرين وسبعمائة